مركز الكلمة للأبحاث والدراسات
قضايا اجتماعية

المسيحي في الحياة المهنية والسياسة

ماثيو كايميك

جميع الحقوق محفوظة

المسيحي في الحياة المهنية والسياسة

دراسة لاهوت هيرمان بافينك، وليزلي نيوبجن
وكنيسة الفادي بنيويورك كنموذج

ماثيو كايميك
ترجمة القس إسحق وليم

تقديم

يوصف عصرنا بأنه عصر انفجار المعلومات، وقد ساعدت السوشيال ميديا على انتشار هذه المعلومات بسرعة مذهلة.

وقد مر عالمنا عمومًا وبشكل خاص منطقتنا – الشرق الأوسط – بأحداث كثيرة وكبيرة وخطيرة غيرت أو كادت أن تغير شكل وحال المنطقة، بدايةً من الفوضى الخلاقة وأحداث ما سُمي بالربيع العربي، وما نتج عنهما من صعود تيار الإسلام السياسي وهجرة المسيحيين حتى أنه يقال إن نسبتهم أصبحت ٣٪ بعد أن كانت ٤١٪، بالإضافة إلى ما أصاب العالم من جائحة كورونا وتوابعها الصحية والاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب ارتفاع نسبة الإلحاد في المنطقة العربية، حيث تقول إحدى الإحصائيات إن نسبة الإلحاد في بعض الدول العربية قد وصلت إلى ٦٣٪.

هذه الأحداث وغيرها أدت فيما أدت زيادة التشويش الذهني للمواطن العربي عمومًا والمسيحي خصوصًا والذي يعيش في مجتمع متعدد الثقافات يحاول تشكيل قيمه ومبادئه بحسب هذه الثقافات، والتي تكون أحيانًا مخالفة لما يؤمن به ويعتقد فيه.

وهذه السلسلة من الكتيبات هي بمثابة محاولة لمعالجة بعض القضايا الفكرية اللاهوتية والاجتماعية من منظور مسيحي كتابي.

ونرجو أن تنجح هذه المحاولات في إزالة حالة التشويش والحيرة التي أصابتنا.

د. ثروت صموئيل – مدير مركز الكلمة

ما هي الصلة المحتملة التي يمكن أن تكون بين اللاهوت المصلح ومكان العمل لمبرمج حاسوب في مومباي، أو فنان في شنغهاي، أو مصرفي في ساو باولو، أو مسؤول تسويق في القاهرة؟ ما هو نوع المجتمع المصلح الذي يمكن أن يحافظ على هؤلاء السكان الحضريين ويشكلهم ويجهزهم لحياة مخلصة في المهن المتزايدة التعقيد والمدن العالمية المتنامية اليوم؟

اليوم، ولأول مرة في التاريخ، يعيش غالبية البشر ويعملون في المدن. بحلول عام ٢٠٣٠، ستضم مدن العالم عددًا مذهلًا يبلغ خمس مليارات نسمة. تقدم الوتيرة السريعة للتحول العالمي نحو المجتمعات الحضرية [أي السكن في المدن] والمهن الحضرية مجالًا جديدًا جذريًا للإرسالية المسيحية لم يتخيله أسلافنا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

أزعم بأن العاملين في حقل زرع الكنائس اليوم يحتاجون إلى أن يكونوا مجهزين بثلاثة عناصر حيوية إن كانوا يأملون في إنشاء مجتمعات إيمانية نابضة بالحياة في مجالات الإرسالية في عالم يزداد تحولاً نحو الحضر والمهنية فائقة التعقيد.

أولاً: يحتاجون إلى تطوير فهم لاهوتي ثري لمكان العمل الحديث.

ثانيًا: يحتاجون إلى نماذج جديدة من علم اللاهوت الكنيسي (Ecclesiology) قادرة على ربط الحياة العملية للمهنيين الحضريين بالرسالة الإلهية.

ثالثًا: يحتاجون إلى نماذج حية مجسمة لكنائس تعيش هذا النموذج وتشارك حاليًا في التواصل مع المهنيين الحضريين.

لتحقيق هذه الغاية، سأصرح أنه من خلال الجمع بشكل إبداعي بين الفكر اللاهوتي القوي للعمل لدى اللاهوتي الهولندي هيرمان بافينك (١٨٥٤: ١٩٢١)، وفهم ليسلي نيوبجن (لاهوتي إنجليزي ١٩٠٩- ١٩٩٨) لعلم لاهوت الكنيسة في مجال المهن، ونموذج الإرساليات التي تقدمه كنيسة الفادي المشيخية في مدينة نيويورك لأصحاب المهن الحضرية، يمكن لزارعي الكنائس في القرينة الحضرية اليوم تخيل كيفية يمكن تنمية مجتمعات إيمانية ذات توجه إيجابي للانخراط الثقافي في قرينتها.

هدفي الإضافي أريد إثباته أن علماء اللاهوت من الكالفينية الجديدة المختصين بدراسة هيرمان بافينك، وهؤلاء المختصين بدراسة اللاهوت المرسلي لليزلي نيوبجن قد تجاهلوا المساهمات الهامة لبعضهم البعض مما جاء على حساب كليهما. يمكن للقراءة المتأنية للاهوت المبني على الثالوث القدوس لبافينك أن توفر للحركة الإرسالية لاهوتًا ثريًا وقائمًا على أسس تاريخية للمشاركة الثقافية. وبالمثل، فإن القراءة المتأنية لعلم الكنيسة المرسلي لنيوبيجن يمكن أن تساعد الكالفينيين الجدد على تخيل مبدع لكيف يمكن للكنيسة كمؤسسة إعلام وإثراء حياة أعضائها العلمانيين مهنيًا وثقافيًا- وهو أمر لم يتعرض للكثير من الدراسة من الكالفينيين. بعد قولي هذا، سأصرح أن كلاً المدرستين اللاهوتيتين يمكن أن تستفيدا بتكوين نموذج لاهوتي أكثر توجهاً نحو التطبيق العملي والذي يبحث في كيفية صياغة اللاهوت في واقع وسياق للكنيسة المحلية مثل نموذج كنيسة الفادي المشيخية بنيويورك.

المهنة والثقافة في لاهوت هيرمان بافينك

يتميز الفكر اللاهوتي ذو الأساس الثالوثي لبافينك عن المشاركة الثقافية، بشكل متوقع تمامًا، بثلاثة جوانب هامة: شغف الكالفينية الجديدة التقليدي لاستكشاف وتطوير خليقة الله الأب والتمتع بها؛ التزام دقيق في الاقتداء بالمسيح (الله الابن) في الحياة اليومية؛ وأخيرًا فهم سخي لعمل الروح القدس من خلال العمل الواسع الانتشار للنعمة العامة في الثقافة البشرية. في القسم التالي سأستكشف بإيجاز ملامح هذه الجوانب الثلاثة وأهميتها لحياة وعمل المهني المسيحي.

يمكن تلمس التزام بافينك بالرؤية الكالفينية الحديثة للثقافة والإبداع من خلال كتاباته. تم رسم خليقة الله الأب على أنها حديقة خصبة مليئة بالطاقات التي يمكن للجنس البشري من خلالها أن يتمتع وينمو. يُصوَّر الله كمصمم ماهر – محب للون،

والجمال، والتعقيد، والنظام. كما أن الله الأب يسعد بشكل خاص بالطرق المتنوعة التي يستخدمها الإنسان لاستكشاف حديقته الجميلة هذه والتمتع بها. تعتبر المهن المتعددة للفنان والعالم والمزارع والباني، وفقًا لنموذج بافيك، ذات قيمة جوهرية في تنمية الخليقة والعمل على إرجاع الفضل والمجد المطلق لله الأب الخالق المبدع.

على أساس هذا الفكر اللاهوتي الغني عن المهن البشرية والعمل، نادى بافينك أنه لا يمكن فصل إيمان المرء بالله عن نشاطه الإبداعي أو الثقافي. نادى بأن الإيمان "يحتضن الإنسان كله في تفكيره وشعوره ونشاطه، طوال حياته في كل مكان وفي جميع الأوقات."[1] وفقًا لباستيان خرويتوف (Bastian Kruithof) الذي كتب بإسهاب عن لاهوت بافينك للثقافة، كان بافينك مقتنعًا بأن المسيحي عليه أن يعترف بإيمانه "ليس فقط يوم الأحد، ولكن أيضًا طوال الأسبوع في الأسرة، والمدرسة، والكنيسة، في عمله، في المجتمع والدولة، في العلوم والفن." وهكذا، كان بافينك مقتنعًا، في الحياة الثقافية للفرد، "أن الدين ليس شيئًا مضافًا إليها، بل هوالحياة نفسها، والحياة يجب أن تكون في خدمة وتسبيح وتمجيد الله."[2] على حد تعبير بافينك، "تتلاقي الثقافة والعبادة معًا منذ البداية، وتنتميان إلى بعضهما البعض، وتشكلا المصير العظيم والمقدس والمجيد للإنسان.[3] لذلك دافع بافينك بقوة عن عمل العلمانيين في الإبداع والثقافة باعتباره أمرًا مركزيًا وليس تابعًا لملكوت الله. وأعرب عن أسفه لحقيقة أنه في الكنائس الإصلاحية الحديثة: يبدو أن الإنسان العادي الذي يتمم دعوته اليومية بشرف أمام الله لا يتم تقديره؛ ويظن أنه لا يفعل شيئًا ذا قيمة لملكوت الله أو شيء من هذا القبيل... يرى الكثيرون اليوم أن كونك مسيحيًا حقيقيًا يتطلب شيئًا إضافيًا، شيء خارج عن المألوف، بعض الأعمال الخارقة للطبيعة... ولذا فإن قوة الإيمان المسيحي وقيمته لا يتم تقييمهما وفقًا لما يفعله الإنسان في دعوته العامة، ولكن فيما يحققه فوقها أو فيما بعدها.[4]

أنه لا يمكن فصل إيمان المرء بالله عن نشاطه الإبداعي أو الثقافي

المسيحي عليه أن يعترف بإيمانه "ليس فقط يوم الأحد، ولكن أيضًا طوال الأسبوع في الأسرة، والمدرسة، والكنيسة، في عمله، في المجتمع والدولة، في العلوم والفن."

نشأ إحباط بافينك من تقليل اللاهوت التقليدي لقيمة العمل من قناعته الكالفينية العميقة بأن الزوج كأب للأسرة، والزوجة كأم لأطفالها، والخادمة في المطبخ، والفلاح وراء المحراث، هم جميعا خدام الله حقًا مثل المرسل والخادم ومعلم مدرسة الأحد".[5]

كلما استكشفنا فكر بافينك اللاهوتي عن الخليقة، يمكننا أن نرى كيف يمكن له أن يبدأ سريعًا في تعليم وإلهام الحياة العملية لذوي المهن في المجتمعات الحضرية. مهن الإدارة والاستثمار والتصميم والإنتاج والخيال والبناء يمكن اعتبارها خدمة وعبادة تقدم للخالق. فوفقًا لبافينك، فإن الله يطالب الإنسان بكليته – "العقل والقلب والروح والجسد وكل طاقاته – من أجل خدمة الله

[1]Herman Bavinck, *Reformed Dogmatics*, vol. 1, *Prolegomena*, ed. John Bolt, trans. John Vriend (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2003), 268.

[2]Bastian Kruithof, "The Relation of Christianity and Culture in the Teaching of Herman Bavinck." (PhD Diss., University of Edinburgh, 1955), 297,124.

[3]Herman Bavinck, *Magnalia Dei: Onderwijzing in de Christelijke Religie naar Gereformeerde Belijdenis* (Kampen: Kok, 1909), 9; cited in Kruithof, 122.

[4]Herman Bavinck, "Common Grace," trans. Raymond C. Van Leeuwen, *Calvin Theological Journal* 24, no. 1 (1989), 62.

[5]Herman Bavinck, "The Future of Calvinism," *The Presbyterian andReformed Review* 5 (1894), 21.

ومحبته."[٦] ستكون اللامبالاة الروحية والنظرة بعدم اكتراث لعمل الفرد العلماني غير مطروحين على الطاولة لأي شخص مستغرق في لاهوت بافينك عن الخليقة.

على عكس رفيقه في الكالفينية الجديدة أبراهام كايبر، الذي يميل لاهوته للثقافة إلى الاعتماد بشدة على الأقنوم الأول والثالث في الثالوث، كانت رؤية بافينك اللاهوتية الثقافية ثالوثية عن قصد في أساسها وصياغتها. من خلال استكشاف بافينك الدقيق للكيفية التي يجب أن تلهم بها حياة وتعاليم يسوع النشاط الثقافي المسيحي، فتح آفاقًا مهنية جديدة للتقليد الكالفيني الجديد.

الجانب الأول والأكثر أهمية في الأخلاق الثقافية لبافينك المتمحورة حول مركزية المسيح هو تلك العلاقة الحميمة وغير القابلة للكسر التي يصيغها بين العمل الإلهي في الخليقة والفداء في شخص يسوع المسيح. فمن خلال هذا العمل المزدوج للمسيح، يأمل بافينك في حل الصراع الذي دام قرونًا في الفكر المسيحي بين التقاليد التي تركز على الخليقة فقط (الطبيعة، والشريعة، والعهد القديم) وتلك التي تركز على الفداء فقط (النعمة، والحب، والعهد الجديد). إنه يرفض الادعاء بأن الاختيار أو التسلسل الهرمي المصطنع بين الخلق والفداء يجب أن يتم افتراضه.[٧] في شخص يسوع المسيح، لا يتم استبدال الخليقة، والناموس، والعهد القديم، ولا يتم إحلال بدائل أخرى مكانهم، بل يتم استعادتهم وتجديدهم وتحقيقهم في حياة المسيح وموته وقيامته.

وفقًا لبافينك، فإن عمل المسيح في الفداء يعيد ويفتدي نشاطنا الإبداعي في العالم. لا يهتم المسيح بإلغاء أو تخليص تلاميذه من هذا النشاط الثقافي. بل يريد أن يساعدهم على السير بأمانة في خضمه. كتب بافينك أنه "رفض كل ثقافة هو خيار أسهل بكثير جدا عن السير في كل مجالاتها كأولاد لله يحاكون مثال المسيح فيها."[٨] ومع ذلك، "لم يأتِ المسيح ليتخلص من العالم [الخليقة] ومختلف مجالات الحياة فيه، بل لأجل استردادها والحفاظ عليها."[٩] يجادل بافينك بأن أولئك الذين يرغبون في اتباع المسيح الخالق والفادي حقًا، يجب أن يحاكوا نموذج مشاركته واسترداده لترتيب الخليقة.

مع تركيز بافينك على المشاركة المتشبهة بالمسيح في الخليقة وافتداء الثقافة، من السهل أن نرى كيف ستلعب لغة "محاكاة المسيح" دورًا مركزيًا في أخلاقه الثقافية. من بداية حياته المهنية إلى نهايتها، كان بافينك مفتونًا بمسألة كيف يمكن للمسيحي

---

[6]Herman Bavinck, Reformed Dogmatics, vol. 2, God and Creation, ed. John Bolt, trans. John Vriend (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2004), 552.

[٧]يجسد بافينك هذا الفهم المتكامل للمسيح باعتباره الخالق، والمخلص، والمتمم استرداد الخليقة، بإيجاز عندما ينادي، " إن كرازة يسوع بالجسد على الأرض لا يمكن فصلها عما تبع بعد الصليب. يعود الإنجيل في الماضي إلى الخليقة والأزل ويمتد إلى المستقبل الأبدي. المسيح، الكلمة، خلق كل الأشياء، وحمل الصليب كخادم الرب، هو نفسه الذي قام مرة أخرى وصعد إلى السماء، وسيعود كديّان للأحياء والأموات." راجع Herman Bavinck, Philosophy of Revelation: The Stone Lectures for 1908–1909, Princeton Theological Seminary (New York: Longmans, Green, and Co., 1908) , 267 كما يضيف في مكان آخر، "الكائن الإلهي واحد: لا يوجد سوى كائن إلهي واحد هو الله. في الخلق والفداء، في الطبيعة والنعمة، في الكنيسة والعالم، في الدولة والمجتمع، في كل مكان ودائمًا نحن مهتمون بإله واحد، حي وحقيقي. إن وحدة العالم، والبشرية، والفضيلة، والعدالة، والجمال تعتمد على وحدانية الله." Herman Bavinck, Our Reasonable Faith (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1956), 158.

[8]John Bolt, "Christ and the Law in the Ethics of Herman Bavinck," Calvin Theological Journal 28 (1993), 71, citing Herman Bavinck, "De Navolging Van Christus en het Moderne Leven," in Kennis en Leven (Kampen: Kok, 1922), 144.

[9]Bavinck, "Common Grace," 64.

*ملاحظة من المترجم، كتب بافينك مقالين طويلين عن "محاكاة المسيح" أو تبعية المسيح الأول كان في بداية حياته المهنية والثاني كان في وقت متأخر منها. وقد شكلت تبعية المسيح عنصرًا مركزيا في فكره اللاهوتي والأخلاقي. في هذين المقالين يعالج بافينك تبعية المسيح من منظور ثالوثي: فالمؤمنين بالمسيح أعضاء خليقته الجديدة بالفداء لا يأخذون موقفا معاديا من خليقة الأب، بل بالحري يسعون لفدائها كما فعل المسيح. فالمسيح لم يأت لينقض خليقة أو شريعة الأب، بل ليستردها. ويعد هذا النموذج من تبعية المسيح الذي يقدمه بافينك ردا على أولئك الذين يفترضون أن تبعية المسيح تفترض الانسحاب من العالم أو تبني موقفا سلبيا من الثقافة.

المعاصر أن يحاكي نموذج المسيح وعمله بأمانة في العالم الحديث.[١٠]

تبدأ مقالة بافينك الأولى حول محاكاة المسيح "Imitation of Christ I" [تبعية المسيح] بقراءة متأنية لعدد من الأنماط التاريخية والمعاصرة لتبعية المسيح. يوضح بافينك في هذا التحليل تقييمًا دقيقًا للأنماط التقليدية الشائعة التي تأخذ المكانة الأولى كنماذج لتبعية المسيح، "الشهيد" و"الراهب" و"الصوفي"، ولكن لسببين مهمين يستنتج بافينك في النهاية أن كل واحدة منها ليست كافية لما يجب أن تكون عليه محاكاة المسيح في الوقت المعاصر. أولاً، يركز كل نمط من الأنماط السابقة عن طريق الخطأ على جانب واحد، وضيق نوعًا ما، من حياة المسيح ويجعلها معيارًا أخلاقيًا سائدًا لكل نشاط ثقافي. ثانيًا، كل نموذج يخلق ثنائية أو هرمية غير ضرورية ومدمرة بين الساعين لمحاكاة للمسيح فهناك قمة يحتلها الشهداء، الرهبان، المتصوفون وهناك في المقابل العلمانيون العاديون الذين لا يستطيعون أبدًا أن يكونوا على مستوى النماذج السابقة. وهكذا تصبح الدعوة لمحاكاة المسيح نداءً للقلة، ويظل نموذجًا غير ذي صلة بشعب الله في معناه العام.

مقتنعًا بأن الدعوة إلى محاكاة المسيح موجهة لجميع تلاميذه، أي لكل شعبه، ينتقل بافينك من هذه النماذج التاريخية الضيقة للغاية ويأخذ في الاعتبار رؤيتين حداثيتين. يبدأ باستكشاف ما يسميه "الرؤية الحرفية". هذا النموذج هو رؤية خشبية عاجزة إلى حد بعيد لمحاكاة المسيح، يشارك فيها تلميذ المسيح في العالم الحديث، في محاكاة حرفية صارمة لنموذج حياة المسيح في القرن الأول. ينادي بافينك بأن هذه الرؤية تفتقر إلى الخيال اللاهوتي والمرونة التي يحتاجها التلميذ في العالم الحديث للاستجابة بفعالية لسياق ثقافي مختلف تمامًا عن فلسطين القديمة. وبذلك، يتجه بافينك نحو الجانب الآخر من الطيف الحداثي إلى ما يسميه "الرؤية العقلانية" للتلمذة. هي تطرف مضاد، وفقًا لوجهة النظر هذه، فإن الخصائص الملموسة لحياة المسيح وتعاليمه يتم إزالتها بشكل متطرف لتصبح محاكاة المسيح قابلة للتطبيق في الحياة العصرية. لذلك يحتاج التلاميذ المعاصرون إلى اختزال حياة يسوع وصولاً إلى جوهر أو روح أو مجموعة من المبادئ أكثر استساغة وعقلانية. بمجرد إزالة حواف السيد المسيح الخشنة الفاضحة بالنسبة لهم، عندها فقط، يمكن أن يكون بمثابة نموذج أخلاقي مقبول للحياة والعمل في العالم الحديث.

مقتنعًا بأن المسيحيين في جميع الأوقات والأماكن والمهن مرتبطون بالتزامات محاكاة المسيح، يعمل بافينك على تطوير رؤية مختلفة للتلمذة تأخذ حياة المسيح وتعاليمه على محمل الجد بينما لا تزال تكون قادرًة على تخيل محاكاة المسيح في مجالات جديدة، وغير متوقعة في الحياة العصرية والعمل. يبدأ رؤيته البديلة من خلال تأصيلها بقوة ليس في الفضيلة أو الشخصية الأخلاقية أو قوة الإرادة للتلميذ الساعي لأن يحاكي المسيح، ولكن في النشاط المليء بالنعمة للمسيح موضوع المحاكاة نفسه. وفقًا لبافينك، فإن التلاميذ المعاصرين الذين يرون يسوع كمثال أخلاقي فقط يجب عليهم اتباعه بصرامة سرعان ما يغرقون ويشعرون بالعجز عن محاكاته. لذلك، يصر على أنه، "فقط عندما نعرفه ونختبره ونتحد به باعتباره الفادي، باعتباره الشخص الذي تكفر آلامه ذنبنا، وروحه القدوس يتمم مطالب ناموس الله فينا، عندها فقط نتجرأ على النظر إليه واعتباره مثالنا الذي يمكن أن نحاكيه." بالنسبة لبافينك، يجب أن تبدأ محاكاة المسيح وتُحكَم فقط من خلال الاتحاد السري المنعم به علينا فيه. فقط من المكانة الأصيلة للفرد في نعمة المسيح، يمكن للتلميذ في العالم الحديث أن يبدأ في اتخاذ الخطوات المبدئية الأولى لمحاكاة المسيح في حياته وعمله.

تختلف فكرة بافينك عن محاكاة المسيح في جانب مهم عن مفهوم رفيقه الكالفيني أبراهام كايبر. بينما يميل كايبر إلى الحديث عن المسيح كملك قائم من بين الأموات يحكم على الثقافة ويغيرها ويحكمها في المجد والقوة، فإن نموذج بافينك لمحاكاة المسيح لا يهمل الارتكاز على ألام المسيح وتضحيته. ففي ذهن بافينك، الساعي الحقيقي لمحاكاة المسيح سيتبع المسيح في مكانته الملوكية وصليبه أيضًا.

---

[١٠] إن فهمي لأخلاقيات بافينك في موضوع محاكاة المسيح، مدين بعمق للعمل التفسيري لجون بولت. انظر
John Bolt; "The Imitation of Christ Theme in the Cultural-Ethical Ideal of Herman Bavinck" (Ph.D. diss., University of St. Michael's College (Toronto School of Theology), 1982), and "Christ and the Law in the Ethics of Herman Bavinck," Calvin Theological Journal 28 (1993), 45–73.

فيما يتعلق بالسؤال العملي حول كيف يجب أن يمضي المرء قدما في محاكاة المسيح في الحياة والعمل اليوم، ينادي جون بولت بأن استخدام بافينك المتكرر لمصطلحات مثل "ملموس" و"توضيحي" و"توضيح" لوصف مثال حياة المسيح على الأرض، يهدف إلى التعبير عن "موقف وسيط بين تطرفي محاكاة المسيح الحرفية الشديدة الضيقة الأفق، والعقلانية المتحررة. يدافع بافينك عما يمكن أن نموذج متماسك ومرن للشهادة المسيحية في الحياة والعمل في العالم الحديث. ضد العقلانيين، ينادي بافينك بأن التلاميذ المعاصرين يجب أن يتصارعوا مع الكلمات والأفعال الملموسة ليسوع. ضد الحرفيين، ينادي بالمسؤولية الحرة للتلميذ الساعي لمحاكاة المسيح في تفسير حياة المسيح وتجسيد الاتحاد السري به الذي يربطه به في مهنته وثقافته الخاصة. التلميذ الساعي لمحاكاة مثال المسيح في العالم الحديث، بحسب بولت، لا يملك الحرية في قبول أو رفض تعاليم المسيح. ومع ذلك، فإنه "يتمتع بحرية تطبيق الفضائل والمبادئ الأخلاقية، التي يعتنقها بطرق مختلفة حسب الظروف".[١١]

بالعودة إلى أصحاب المهن في المناطق الحضرية اليوم، يمكننا أن نرى بسهولة كيف يضع بافينك حياتهم اليومية وعملهم في محادثة حميمة وفورية مع سيادة المسيح بأربع طرق محددة. أولاً، تُفهم شهادة المسيح على أنها سلطة عميقة واسعة التأثير وغير قابلة للجدل على حياتهم العملية. بحسب بافينك:

لم يأتِ المسيح لمجرد استعادة الحياة الدينية والأخلاقية للإنسان وترك بقية الحياة دون المساس بها، كما لو أن بقية نواحي الحياة لم تفسدها الخطية، ولم تكن بحاجة إلى الاسترداد. كلا، فمحبة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس تمتد حتى بقدر ما أفسدت الخطيئة. كل ما هو خاطئ، مذنب، نجس، ومليء بالويل هو على هذا النحو ولهذا السبب بالذات، موضوع إنجيل النعمة، الذي يجب أن يُكرز به لكل الخليقة. لذلك المسيح لديه رسالة للمنزل والمجتمع أيضًا، رسالة من أجل الفن والعلم. اختارت الليبرالية حصر قوتها ورسالتها في القلب والغرفة الداخلية به، معلنة أن مملكتها لم تكن من هذا العالم. ولكن إذا لم يكن الملكوت ليس من العالم، إلا أنه بالتأكيد في هذا العالم، بل ومخصص له. كلمة الله التي تأتي إلينا في المسيح هي كلمة تحرير واسترداد للإنسان كله، لفهمه وإرادته، لجسده وروحه.[١٢]

ثانيًا، يُذّكِر بافينك المهنيين في المناطق الحضرية اليوم أن أفعالهم اليومية المتمثلة في محاكاة نموذج المسيح في مكان العمل يجب أن تنبثق من فعل نعمة المسيح الأَوَّلي وليس من قدرتهم الأخلاقية على التحمل. يجب أن يعيشوا ويعملوا انطلاقا من تلك النعمة والفرح، وليس من أي قوة إرادة أو بر ذاتي. يجب أن تكون النعمة التي يختبرونها في الاتحاد السري بالمسيح هي المحرك الحصري الذي يقودهم ويرشدهم في حياتهم في مكان العمل في العالم الحديث. ثالثًا، لن تتسم دعوتهم بشكل دائم بقدر مُلهِم من الملوكية والإبداع والقدرة على التطور الثقافي؛ بدلاً من ذلك، فبسبب قوى الخطية العاملة في الحياة البشرية، فإن الملل والمقاومة والقمع وحتى الفشل سيكون جانبًا حتميًا من تجربة محاكاتهم للمسيح في حياتهم العملية.

كما ذكرنا سابقًا، سيحصل صاحب المهنة في البيئة الحضرية، والذي يأخذ التلمذة بجدية، على إكليل وصليب طوال التدبير الحاضر. رابعًا، نظرًا لأن التلاميذ مُنحوا الحرية في تفسير وتجسيد مثال المسيح في مواقع مهنهم الفريدة، فإنهم ليسوا ملزمين بمجموعة صارمة من القواعد التي تتصدع عندما تتغير ظروفهم المهنية الديناميكية. بدلاً من ذلك، يُتوقع من التلاميذ أن يقتدوا بالمسيح في سياقاتهم المهنية الديناميكية.

الجزء الثالث والأخير من رؤية بافينك اللاهوتية ذات الأساس الثالوثي للثقافة، هو العمل الكوني للروح القدس في النعمة العامة في كل العالم. يستخدم بافينك هذا المصطلح لوصف عمل الروح القدس الواسع المدى في كل الخليقة، والعناية الإلهية والسخية باعتباره الموجد لكل أشكال الحياة ومصدر كل قوة وفضيلة بها:

يرفض الروح القدس ترك الخطيئة لتقوم بعملها الهدام منفردة. فروح الله كان وما يزال لديه، حتى بعد السقوط، هدفًا لخليقته؛

[11]John Bolt; "The Imitation of Christ Theme in the Cultural-Ethical Ideal of Herman Bavinck" 66.

[12] Bavinck, "Common Grace," 61–62.

لقد جعل النعمة العامة تتوسط بين الخطيئة والخليقة لكيلا تُدمر الخطية الخليقة. رغم أنه هذه النعمة العامة لا تعمل في تجديد الإنسان أو الخليقة من الداخل، إلا أنها تقيّد الشر وتتحكم فيه. كل ما هو جيد وحقيقي في الخليقة والثقافة ينبع من هذه النعمة، بما في ذلك الخير الذي نراه في الإنسان الساقط. فلا يزال الضوء يلمع في الظلام. روح الله يجعل الخليقة بيته ويعمل فيها كلها. يملأ قلوب الناس بالقوت والفرح ولا يترك نفسه بلا شاهد بينهم. يسكب عليهم عطايا ومنافع لا حصر لها. يربط بين العائلات والأجناس والشعوب بالحب والعاطفة الطبيعية. إنه يسمح للمجتمعات والدول بالامتداد حتى يعيش المواطنون في سلام وأمن. هو من يمنحهم الثروة والرفاهية، كما يمكّن الفنون والعلوم أن تزدهر. وبإعلانه العام في الطبيعة والتاريخ يربط قلوب البشر وضمائرهم بالعالم غير المرئي وما فوق المحسوس، ويوقظ فيهم حس العبادة والفضيلة. فهذه يجب أن تعتبر مواهب من الروح القدس. صحيح أن الروح القدس، كروح تقديس، يسكن في المؤمنين فقط، ولكن كروح حياة وحكمة وقوة يعمل أيضًا في أولئك الذين لا يؤمنون. لذلك ينبغي لأي مسيحي ألا يحتقر هذه المواهب. على العكس من ذلك، يجب أن يكرم الفن والعلم والموسيقى والفلسفة والعديد من المنتجات الجيدة الأخرى للعقل البشري كهبات عظيمة للروح القدس، (praestantissima Spiritus dona) وأن يستفيد منها إلى أقصى حد من أجل منفعته.[١٣]

يمكن للمسيحين أن يدخلوا مدنهم ويمارسوا مهنهم الخاصة وهم يعلمون أن الروح القدس قد خرج قبلهم ليجعل التعاون والتفاوض والحوار مع زملاء العمل غير المسيحيين ممكنًا.

إن تعبير بافينك عن عمل الروح القدس الواسع الانتشار في كل الخليقة والثقافة والبشرية يوفر للأصحاب المهن الحضرية أساسًا لاهوتيًا يمكنهم من خلاله السماح للعالم بإعلامهم وإثرائهم وحتى مباركة حياتهم وعملهم. يمكن للمسيحين أن يدخلوا مدنهم ويمارسوا مهنهم الخاصة وهم يعلمون أن الروح القدس قد خرج قبلهم ليجعل التعاون والتفاوض والحوار مع زملاء العمل غير المسيحيين ممكنًا. يمكننا أن نكون ممتنين للمقاهي والحدائق في مدننا، ويمكننا التعلم من الأساتذة غير المسيحيين، والعمل بجد مع مختلف جهات العمل مدركين أنه على الرغم من المظاهر العديدة التي تبدو معاكسة لعمل روح الله، إلا إن روح الله إلى حد ما لا يزال فاعلا في مختلف البيئات. يذكر بافينك بعض الأمثلة: "لأن موسى نشأ في كل حكمة مصر، وزين بنو إسرائيل بيت الرب بذهب وفضة مصر، واستخدم سليمان خدمات حيرام ملك صور لبناء الهيكل، وكان دانيال قد تهذب بعلوم الكلدانيين، والمجوس من الشرق وضعوا هباتهم عند قدمي الطفل يسوع في بيت لحم."[١٤] هذا الفهم لنعمة الله السخية المشتركة يمنحنا روح السلام بحيث ندرك أن التطور الثقافي ليس أمرًا متوقفًا علينا، بل على روح الله. بالتالي فإن روح الله يمنحنا الانفتاح على الآخرين، ويهبنا الرجاء في وعود الله وثقة في روحه الذي يظل فاعلا في أماكن عملنا حتى بعد رحلينا عنها.

باختصار، يزود اللاهوت الثالوثي لبافينك المهنيين المعاصرين بتفسير لاهوتي قوي لمهنتهم التي يشتغلونها في المدينة العالمية باعتبارها مشاركة أصيلة في إرسالية الله** وما يصاحبها من تجديد لكل الأشياء. يؤكد تركيزه على الخليقة على الأهمية الأبدية لعملهم ومهنتهم كما تربط رؤيته الدقيقة لمحاكاة المسيح مهنهم بحياة المسيح المتجسدة وتعاليمه، كنموذج يوجه أخلاقهم

---

[13]Herman Bavinck, "Calvin and Common Grace," The Princeton Theological Review 7, no. 3 (1909),

[14]Bavinck, "Common Grace,64 ".

** تعقيب من المترجم: يعتبر تعبير إرسالية الله *Missio Dei* نقلة نوعية في علم الإرساليات اليوم. استخدم أوغسطينوس وتوما الإكويني التعبير قديما والذي تكون الإرسالية فيه هي عمل الثالوث. ولكن صياغة الفكرة في العصر الحديث تعود للّاهوتي الألماني كارل بارت في مقال نشره ١٩٣٢ علم فيه إن الإرسالية هي إرسالية الله الذي أرسل ابنه للعالم ثم أرسل ابنه الروح القدس. الكنيسة بالروح القدس تشارك في إرسالية الله. بالتالي أكد هذا المفهوم أن الإرسالية ليست نشاطًا يخص الكنيسة، بل هي عمل إلهي بالدرجة الأولى ثم تتجاوب الكنيسة معه وتنضم إليه. لذا أصبحت الإرسالية ليست من مكان ما بالذات خاصة الغرب، بل هي إرسالية الكنيسة من وإلى كل مكان ويشارك فيها كل شعب الرب وليس المرتسمون للخدمة الدينية فقط. يتناغم هذا المفهوم مع لاهوت بافينك الكالفيني الذي يؤكد على شمولية عمل الله الخالق والفادي والمجدد لكل الخليقة والذي يرفض بالتالي الثنائية التقليدية ما بين الروحي والمادي، الديني والدنيوي.

وسلوكياتهم اليومية نحو الاتضاع، ويؤدب أي ادعاءات تبالغ في التفاخر بالإنجازات الشخصية. وأخيرًا، تزودهم عقيدة النعمة العامة بأساس مبني على عمل الروح القدس الذي بواسطته يمكنهم العيش والعمل داخل مدنهم وهم على دراية مستمرة بيد الله الفاعلة، وعنايته الإلهية العاملة في كل شيء من حولهم.

ومع كل ذلك، لم ينجح الفكر اللاهوتي لبافينك عن المشاركة الثقافية، مثل العديد من الكالفينيين الجدد، في الإجابة عن سؤال ثانٍ حيوي لمستقبل اللاهوت والإرسالية المصلحة في المدينة العالمية اليوم وهو كيف يمكن للكنيسة الحضرية من خلال الوعظ والعبادة وحياة الشركة على حد سواء إعلام وتشكيل حياة أعضائها المؤمنين لأداء أفضل في مجال العمل والمشاركة في إرسالية الله في النطاق الأوسع ثقافيًا؟ بعبارة أخرى، ما هو الشكل الذي يجب أن تكون عليه الكنيسة الكالفينية الملتزمة بخدمة الله في جميع المهن عمليًا؟ كيف ستشجع وتتحدى وتجهز تلاميذها للعمل في المدينة العالمية الجديدة؟ ما نوع الترانيم التي يجب أن ترنمها من أجل هذا الغرض؟ كيف يجب أن يكون الوعظ الذي تقدمه؟ تبدو هذه، في رأيي، أسئلة طبيعية جدًا تنبع من رؤية بافينك الثقافية، ومع ذلك عندما يفحص المرء كتابات الكالفينيين الجدد مثل بافينك، يجد القليل عن هذا التوجيه المطلوب لشكل وحياة الكنيسة في المجتمع العام بصورة تدعو للإحباط.

إن صمت الكالفينية الجديدة هذا عن مناقشة العلاقة بين الحياة الليتورجيا (العبادة) والحياة الثقافية للفرد قام تاريخيًا على الفصل الراسخ بين ما يسميه الكالفينيون الجدد الكنيسة بـ النظامية (المؤسسة الرسمية للكنيسة) والكنيسة ككائن حي (شعب الله الذي يعيش ويعمل بحيوية في العالم). الفكرة هي أن الكنيسة كمؤسسة يجب أن تحترم تقسيم العمل بينها وبين الكائن الحي من خلال عدم إملاء كل وجه من جوانب الحياة العامة والمهنية للمسيحي بشكل عقائدي صارم. فبعد كل شيء يقال، لا يُتوقع من القسيس أن يخبر فناني الكنيسة كيف يرسمون، أو يخبر الجراحين كيف يجرون جراحاتهم، أو سماسرة البورصة كيف يستثمرون. يقال إن الكنيسة كمؤسسة يجب أن تلتزم بمهمتها الخاصة بالعبادة والوعظ مع ترك الأمور الثقافية والمهنية للحرية التمييزية للكنيسة ككائن حي.

بحسب روح تعاليم بافينك، تميز الكالفينية الجديدة بين الحياة الليتورجية والمهنية للفرد أو بين الكنيسة كمؤسسة والكنيسة ككائن حي يعيش في العالم هو حكيم ومفيد للغاية، إلا أن الفصل الجامد بينهما لن يكون كذلك. في حين أنه من الصحيح بالتأكيد أن القساوسة في الكنيسة كمؤسسة يجب أن يحترموا بتواضع تعقيد وتنوع العمل المهني للعلمانيين، لكن يجب ألا تتخلى الكنيسة كمؤسسة أبدًا عن ارتباطها الحيوي ومسؤوليتها عن الخيال اللاهوتي الثقافي للكنيسة ككائن حي. بعبارة أخرى، فالحياة الليتورجية والجماعية للكنيسة كمؤسسة، يجب أن تعكس حقا الحياة العملية، وتدعمها وتشجعها وأن تتحدى الخيال الديناميكي لأعضائها بكيفية تؤكد أن الإنجيل الذي يُبشر به يجب أن يوجه ويجدد كل ركن من أركان الحياة المهنية للأفراد. لأنه إذا فشل الوعظ والعبادة والحياة الجماعية في الكنيسة في ترسيخ أي صلة بين الإيمان والعمل المهني لأعضاء الكنيسة، فإن هذا الفصل الصارخ سيقوض أي رجاء لدى العلمانيين في ربط الإيمان بالعمل من أجل فائدة أنفسهم.

وهكذا، بينما يقدم لنا بافينك فهمًا لاهوتيًا ثريًا للعمل المهني بشكل لا يمكن إنكاره، إلا أنه لا يعطينا رؤية لكيفية قيام الكنيسة، كجماعة عابدة، بتمرير هذا التصور اللاهوتي من يوم الأحد لباقي أيام الأسبوع. للحصول على إجابة حول كيف يمكن للكنيسة كمؤسسة أن تلعب دورًا استباقيًا ليس فقط في إعلام أعضائها بالعلاقة بين الإيمان والعمل المهني، ولكن أيضًا في تشكيل هذه الرؤية والحفاظ عليها على أساس أسبوعي، نحتاج إلى اللجوء إلى اقتراح ليسلي نيوبِجن الخلاق والمثير للجدل، بلا شك، للكنيسة المرسلية ذات التوجه المهني.

علم الكنيسة ذو التوجه المهني لدى ليزلي نيوبِجن

قضى ليزلي نيوبِجن (١٩٠٩-١٩٩٨)، وهو قسيس مُصلح من بريطانيا العظمى (١٩٠٩-١٩٩٨) السنوات الثلاثين الأولى من حياته المهنية كمبشر في جنوب الهند. من خلال أنشطته الدولية في الكتابة والتحدث والقيادة، اكتسب نيوبِجن شهرَة كبيرَة لمساهماته في الفهم المسيحي للحوار بين الأديان، والتأويل الثقافي، والدراسات المسكونية، واللاهوت والممارسة الإرسالية.

عند عودته في نهاية المطاف إلى بريطانيا العظمى، أصبح نيوبِجن منتقدًا بشكل متزايد انسحاب الكنيسة الغربية من الحياة العامة والثقافية والمهنية للعلمانيين على وجه التحديد. إن مقترحاته الإبداعية حول كيفية قيام الكنيسة بالانخراط مرة أخرى في هذه المجالات العلمانية، ولا سيما مكان العمل الحديث هو موضوع القسم التالي من المقال. سيكون من الواضح أنه مع اتفاقه المؤكد مع تنبير بافينك على أن الهوة الحديثة بين الإيمان والعمل هي نتيجة مباشرة لعلم للاهوت عقائدي متعثر، إلا أنه أن يضيف أنه نتيجة مباشرة لعلم لاهوت كنيسي متقزم أيضًا.

قناعة نيوبِجن الراسخة بأن الكنيسة لم يكن من المفترض أن تكون مؤسسة ذي توجه سكوني، ولكنها حركة ثقافية ديناميكية تم تأكيدها طوال حياته وعمله. لم يتعب أبدًا من اقتباس مقولة إميل برونر الشهيرة: "الكنيسة موجودة بالإرسالية كما أن النار موجودة بالاحتراق."[١٥] في نظر نيوبِجن، كانت الكنيسة الغربية قد قايضت بشكل كارثي دعوتها العامة الديناميكية للتحول الثقافي والإرسالية بتقليد كنسي سلبي. نادى نيوبِجن بأن هياكل وممارسات هذه الكنيسة السلبية سببت عجزًا ثقافيًا جعل أي مشاركة واسعة النطاق مع المجتمع الحديث أمرًا مستحيلًا.

يكتب نيوبِجن أن الكنيسة المرسلية حقًا "ستكون مجتمعًا يتم فيه إعداد وتغذية الرجال والنساء لممارسة الكهنوت في العالم." ويقول: "الكنيسة تجتمع لتجديد مشاركتها في كهنوت المسيح. . . ليس داخل أسوار الكنيسة، بل في الأعمال المهنية اليومية في العالم."[١٦] إن الدور المناسب للإكليروس ليس التعليم الكنيسي النظري، ولكنه يتجلى بشكل أوضح في غسل المسيح لأقدام تلميذه. لذلك فإن دعوتهم الخدمية هي "مساعدة أعضاء الكنيسة على الخروج إلى بيئاتهم في العالم وأداء خدمات الشفاء، والتجديد، والتعليم، والخلاص، وأن يندمجوا كخمير وسط البشر. يجب أن يكون القساوسة خدامًا لخدامي الله حقًا."[١٧]

وفقًا لنيوبِجن، كان أحد أكثر العواقب المأساوية لانسحاب الكنيسة الغربية من الثقافة الحديثة هو صمتها المطبق عما يتعلق بالحياة المهنية لأعضائها يقول:

كيف يجب أن يتصرف المسيحي في عمله، في السياسة، في الحياة المهنية، لم يكن لدى الكنائس ما تقوله تقريبًا. لقد تُرك كل إنسان إلى حد كبير ليجد طريقه الخاص. إذا طلبت كتبًا عن كيفية إدارة مسيحي لمدرسة الأحد، فستجد الكثير. ولكن إذا طلبت توجيهًا لمصرفي مسيحي، أو محامٍ مسيحي، أو مزارع مسيحي حول كيف يفهم خادم يسوع المسيح هذه الوظائف ويمارسها، فلن تجد شيئًا تقريبًا... لقد تركت الكنيسة أعضائها لتدبر أمرهم بأنفسهم إلى حد كبير.[١٨]

علم نيوبِجن أنه إذا كان لدى الكنيسة الغربية أي رجاء في أن تُعَبِّر عن الحركة العامة والثقافية التي دُعيت لها، فإنها ستحتاج إلى إعادة تصور جذري لكيفية مقاربتها للحياة الثقافية والمهنية لأعضائها.[١٩] "يجب أن يجدوا طرقًا للتعبير عن التضامن مع أولئك الذين يقفون في هذه المواقف الحدودية."[٢٠] انطلاقًا من هذه القناعة، بدأ يتخيل ويوضح بدايات اللاهوت الكنيسي القائم على التوجه المهني.

---

[15]Emil Brunner, The Word in the World (London: SCM Press, 1931), 11.

[16] Lesslie Newbigin, The Gospel in a Pluralist Society (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1989), 229–30.

[17]Newbigin, "Ministry and Laity," National Christian Council Review 85 (1965): 481.

[18]Lesslie Newbigin, "The Christian Layman in the World and in the Church," National Christian Council Review 72 (1952): 187.

[19]Matthew Kaemingk, "Lesslie Newbigin's Missional Approach to the Modern Workplace," Missiology 39, no. 3 (2011).

[20]Michael W. Goheen, As the Father Has Sent Me, I Am Sending You: J.E. Lesslie Newbigin's Missionary Ecclesiology (Zoetermeer, The Netherlands: Boekencentrum Publishing House, 2000), 311.

لفهم أسس لاهوته الكنيسي بشكل حقيقي، يجب أن نعود إلى الإقامة التبشيرية التكوينية لنيوبجن في جنوب الهند. لقد أصبح الالتزام الراسخ بتوجه الكنيسة نحو مجتمعها المحلي المنحوت في حرارة الصيف الهندي الطويل، ركيزًة أساسيًة في لاهوت الكنيسة لنيوبجن. فقد نادى بأن الكنيسة يجب أن تكون مندمجة تماما في بيئتها المحلية من حيث التصميم والملكية والعبادة والبنية والقيادة. كان هذا "أبسط المبادئ التي تقوم عليها الإرسالية."[٢١] وقفت نيوبجن بحزم ضد النماذج الأوروبية للإرسالية التي دعت إلى إنشاء "محطات إرسالية" كبيرة ومركزية ذات طابع غربي مميز، حيث يتم التعامل فيها مع الشعوب الأصلية كمتلقين سلبيين لخدمة ورسالة ليست خاصة بهم.

ملهمًا بهذه الرغبة الملحة للتأصيل المحلي للكنيسة، سافر نيوبجن مئات القرى الهندية الصغيرة لترسيم الشيوخ، وإنشاء الكنائس المحلية، ومنح قدرًا جريئًا فوق المعتاد من الحكم الذاتي المحلي والمسؤولية للكنيسة المحلية. قام مديرو الإرساليات الدولية الذين يراقبون عمله في إنجلترا بانتظام باستجوابه وتحدي الحرية التي منحها نيوبجن للكنائس الأصلية التي زرعها في هذه القرى المحلية. لقد جادلوا بأن رجال الدين الغربيين والمدربين بشكل كامل فقط هم من يجب أن يحصلوا على مثل هذه المستويات من الحكم الكنيسي والأسرار. دفاعًا عن أساليبه، رد نيوبجن بالقول إن كنائسهم هم قد سقطت أسيرة لنماذج محطمة من العالم المسيحي لم تكن كتابية ولا فعالة. يذكر نيوبجن خصومه بالتالي:

لم يبق الرسول بولس في مكان واحد لأكثر من بضعة أشهر، أو عامين على الأكثر... وحالما تكونت جماعة ثابتة من المؤمنين المسيحيين في مكان ما، اختار من بينهم شيوخًا ووضع عليهم الأيادي وأوكل إليهم رعاية الكنيسة. وأوكل لهم ما يجب أن يقوموا هم به، هذا ما يجب أن يكون لو أن الإنجيل يجب أن يبلغ حقًا. يجب أن تكون هناك جماعة مُجهزة بالكتاب المقدس، والفرائض المقدسة، والخدمة الرسولية. من ثم تصبح الكنيسة الفتية حرة في أن تتعلم وتتقدم وتنمو في كيفية تجسيد الإنجيل في ثقافتها الخاصة.[٢٢]

تُرى ما هي الصلة المحتملة التي يمكن أن تكون لممارسة نيوبجن لزراعة الكنائس الريفية في الهند لتطوير علم كنيسي حضري جديد يمكنه التواصل مع الحياة العملية للمهنيين الحضريين؟ يقدم نيوبجن هذه الصلة لنا.

أنا متأكد من أن تجاربي الهندية ليست غير ذات صلة بالوضع في المجتمع الصناعي الغربي. لقد قابلت، على سبيل المثال، [مسيحيون إنجليز] يعملون في متجر كبير أو مصنع كبير، وقد توصلوا إلى اختبار جديد مع المسيح وهم متشوقون لمشاركة إيمانهم مع الآخرين. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه على الفور هو ما إن كان بإمكانهم تطوير مجتمع مسيحي حي مع [زملائهم في العمل] المطابقين لهم في اللغة والأسلوب وثقافة مجتمعهم أو ما إذا كان عليهم الهجرة من ثقافتهم، والتعلق بأحد تجمعات الطبقة الوسطى في الحي، ويعتمدوا بشكل دائم في القيادة على رجال تم إعدادهم في كلية أو كلية لاهوت إنجليزية نموذجية.[٢٣]

تمامًا كما دخل نيوبجن إلى القرى الهندية وأسس الكنائس أينما ذهب، كذلك يدعو زارعي الكنائس في المناطق الحضرية إلى دخول أماكن العمل الحديثة لتأسيس مجتمعات إيمانية جديدة بأكبر قدر ممكن من الدقة والسرعة.

ولكن لماذا يكون هذا الإصرار على تأصيل الكنيسة في بيئتها ضروريًا؟ نادى نيوبجن بأن هذا النوع من التلمذة ذات التوجه المهني العميق التي أرادها اللاهوتيون أمثاله وأمثال بافينك لا يمكن ببساطة أن تستمر من قبل الأفراد الذين يعملون في عزلة. لا يكفي ببساطة التبشير بلاهوت العمل في كنيسة الأماكن الريفية وتوقع من المهنيين الحضريين الحفاظ عليه بأمانة طوال حياتهم المهنية. تعتمد المحاكاة الأمينة للمسيح في مكان العمل، وفقًا لنيوبيجن، على توجيه ممارسات الكنيسة في وعظ الكلمة المقدسة والفرائض وشركة المؤمنين للسياق الذين يعملون ويعيشون فيه.

---

[21]Lesslie Newbigin, Honest Religion for Secular Man (London: SCM Press, 1966),112 .

[22]Newbigin, The Gospel in a Pluralist Society, 146–47.

[23]Newbigin, Sign of the Kingdom (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1980), 66.

أولئك الذين قد يزعمون بأن كنيسة المناطق الريفية يمكن أن تكون بمثابة مجتمع كافٍ للتلاميذ أصحاب المهن الحضرية، هم ببساطة، في نظر نيوبجن، لا يدركون التحدي التبشيري الجديد الذي تطرحه الحياة الحديثة. وفقًا لنيوبجن، فقد تطور الغرب إلى "كائن حي شديد التعقيد من مجتمعات متباينة، ولكن متداخلة، في كل منها يتعين على الرجال والنساء أن يعيشوا حياتهم العملية، ويتفاعلوا مع الآخرين، ويتخذون قرارات يومية، بل وكل ساعة بشأن قضايا معقدة وصعبة للغاية"[٢٤] لذلك أصبح هناك تحديات أخلاقية ويومية للمجتمعات المهنية المعقدة لا يستطيع اللاهوت الكنيسي التقليدي أن يقدم إجابات وافية لها.

يجب أن تتواجد الكنيسة حيث يتواجد أعضاؤها، وتتحدث نفس اللغة التي يتحدثونها، وتسكن نفس العوالم التي يعيشون فيها

بالنسبة للإنسان الحضري العلماني اليوم، وعلى نحو أكبر بكثير من أسلافه، فإن العيش في نفس المكان لا يعني أنه يعيش في نفس العالم. يجب أن تتواجد الكنيسة حيث يتواجد أعضاؤها، وتتحدث نفس اللغة التي يتحدثونها، وتسكن نفس العوالم التي يعيشون فيها. هذه هي أبسط المبادئ الإرسالية. طاعة لتلك المبادئ، يتواصل المسيحيون في أشكال جديدة من الحضور، محاولين إظهار حقيقة حياة المسيح في العديد من التعبيرات الاصطلاحية المتنوعة للعوالم التي يسكنها البشر. توجد "خلايا" في المصانع والمكاتب... لكن هذه التجارب الإرسالية، حتى وقت قريب، لم تمس مكانة الجماعة المحلية باعتبارها الشكل النهائي للكنيسة، والمكان الذي يُكرز فيه بالكلمة، وتمارس فيه الفرائض المقدسة، ويُدار فيه التهذيب التقوي ... تلك كانت بمثابة أعمال خارجية للكنيسة وليس هيكلها الرئيسي، فرق استكشافية وليست العمود الرئيسي.[٢٥]

ينادي نيوبجن بشكل جوهري، أنه إذا كانت الكنيسة الغربية تريد حقًا الانخراط في الحياة المهنية لأعضائها وتقويتها، فإنها تحتاج إلى تكريم هذه المجتمعات الإيمانية القائمة على التدريب المهني بمنحها لقب "الكنيسة". إن مجرد إنشاء مجموعة صلاة في مكان العمل، أو جمعية مسيحية للمُضيفات، أو المحامين، أو المعلمين لن يفي بالغرض. إذا كانت الكنيسة الغربية تريد حقًا إشراك مكان العمل الحديث كحقل مرسلي، كما ينادي نيوبجن، فإنها تحتاج إلى تعيين شيوخ محليين ومنحهم حق ممارسة المناداة بالكلمة وممارسة الفرائض المقدسة مثل كنائس القرى في الهند.

إن حصر الكلمة والفرائض المقدسة في حاجز الكنيسة التقليدية فقط يبعث برسالة ليتورجية قوية، كما ينادي نيوبجن، تتعلق بالقوة الثقافية وأهمية الإنجيل. لا يمكن لأي لاهوت ثالوثي للثقافة، مهما كان قويًا، أن يتغلب على الرمزية القوية المتمثلة في قصر العشاء الرباني حصريًا في كنائس المجتمعات السكنية ذات الإيمان على بعد أميال من مكان العمل. وهو يرى أن هذا الفصل الليتورجي قد عزز الفصل اللاهوتي بين الإيمان والعمل المهني.

لم يؤكد نيوبجن أبدًا أن كنائس مكان العمل هذه يجب أن تنافس الكنائس السكنية أو تحل محلها كشكل جديد من "الكنيسة المتخصصة" حيث يجتمع الناس فقط مع "نوعهم". بدلاً من ذلك، رأى أن هذه الزمالات الجديدة يمكن أن تكون شريكًا قيّمًا وقوة تجديد للكنائس القائمة: ستصبح الكنائس المهنية "طريقة ديناميكية لانفتاح الكنيسة المحلية التقليدية من أجل مشاركة أعمق بكثير في حياة العالم."[٢٦]

دعا نيوبجن إلى نظام من العضويات المتعددة والمتداخلة في المنزل ومكان العمل من شأنه أن يجدد ويثري إرسالية كلا المؤسستين بروايات ملهمة للإرسالية المسيحية والمشاركة في جميع مجالات الحياة الحديثة. هذه الأشكال والمواقع المتنوعة للكنيسة ستعبر عن التعددية الفائقة لإرسالية الله وليس لانفصالها عن بعضها البعض. كما نادى أيضًا أن هذه التجمعات القائمة على الأساس المهني من شأنها أيضًا أن تكون بمثابة فرصة فريدة للتعاون المسكوني والحوار.

---

[24]Newbigin, *Sign*, 67.

[25]Newbigin, Honest Religion, 111–12.

[26]Newbigin, *Sign,* 63.

انتقل إلى المجمع الصناعي الجديد الكبير في دورجابور في الهند، حيث يتم جمع آلاف الهنود معًا من كل جزء من البلاد في بوتقة انصهار لنوع جديد من المجتمع. هل يمكنك حقًا محاولة تحويل [هؤلاء العمال] إلى أنجليكانيين أو ميثوديست أو معمدانيين كنديين أو لوثريين دانماركيين؟ أينما أتيت ومن خلال أي تقليد تعلمت فيه المسيح، لديك شيء واحد فقط لتفعله هناك: إخلاء نفسك من أجل المسيح لكي تتعلم بتواضع أي نوع من المجتمع يمكن أن يمثل حقًا غرض المسيح لهذا المجتمع الصناعي، سيكون من الممكن بالطبع إقامة سلسلة من محطات الصيد لأجل التبشير حول تلك البركة؛ لكن هذه ليست هي الإرسالية وهذا لن يخلق في دورجابور مجتمعا يكون معبرا عن الثمرة الأولى للمسيح كله، والإخلاص لقصده وعلامة انتصاره. لقد ساعدت الخبرة الإرسالية في القرنين الماضيين بقوة على إعادة فضيحة انقسام الكنائس إليها. ومن المؤكد أكثر أن المحاولة الجادة للاختراق المرسلي لبناءات المجتمع العلماني ستجعل انقساماتنا تبدو سخيفة.[٢٧]

يُذَّكر نيوبجن أولئك الذين لا يشعرون بالارتياح أو يعارضون صراحة تجمعاته القائمة على أساس المهنة بأن خدمات العبادة كانت تقام بشكل تلقائي في المستشفيات والجامعات والوحدات العسكرية لعدة قرون. فإذا كان من الممكن إعلان الإنجيل وممارسة الفرائض المقدسة بشكل صحيح في هذه المجالات الاجتماعية، فلماذا لا يتم ذلك في مكان العمل؟[٢٨] وهو يعترف صراحة بأن الخطوات الخاطئة ورادة الحدوث بالتأكيد في اجتماعات مكان العمل هذه تمامًا كما كانت واردة الحدوث في كنائسه في الريف الهندي .لكنه ينادي بأن هذا ليس ذريعة لمنعها. إن العمل المرسلي على التخوم الفاصلة بين الكنيسة والعالم، سواء كان ذلك في الهند أو في مكان العمل الحديث، يتطلب الإبداع الكنيسي والانفتاح والتخيل. ومع ذلك، يُذَّكر نيوبجن زملائه المبشرين بأنه لا ينبغي لهم أن يظنوا أنهم يلهثون نحو هذا العالم المرسلي الجديد والشجاع دون أساس.

كلما زاد التأكيد على الحاجة إلى أن تُطَوِر الكنيسة انفتاحًا جديدًا على العالم، ومرونة جديدة في هيكلتها، كلما كان من الضروري التأكيد على مكانة يسوع المسيح المحورية والنهائية... مع هذا النوع من الانفتاح والمرونة اللذين أيدتهما، قد يكون من الصعب القول أين تكمن حدود الكنيسة؛ هذا لا يهم شريطة أن نكون واضحين ونوضح للآخرين أين يوجد المركز بالضبط. [٢٩]

في حين أن رؤية نيوبجن للكنيسة القائمة على أساس مهني لم تحقق مطلقًا التعبير الكامل والشافي، تمثل جهوده مساهمة مهمة في المناقشة التي يجب أن تتم في مجال الإرساليات الحضرية العالمية. أولئك الذين يرفضون ببساطة الانصياع لمقترحاته الراديكالية للإصلاح الكنسي قد يجدون بالفعل أسبابًا مقنعة لإثبات مخاوفهم. ومع ذلك، فإن حجة نيوبجن بأن الكنيسة الغربية لم تعد قادرة على تجاهل الحياة العملية للعلمانيين في خدمتها تمثل تحديًا عميقًا يتطلب إجابة. يجب على زارعي الكنائس الذين يعملون في المدينة العالمية الجديدة أن يطرحوا ببساطة السؤال التالي: كيف يمكن لجسد المسيح أن يتحدى الحياة العملية لأعضائه ويشجعها ويجهزها ويكون ذو توجه سياقي أصيل نحو بيئته بشكل جذري؟

كنيسة الفادي المشيخية بنيويورك (NYC) ***

جمعت كنيسة الفادي المشيخية في مدينة نيويورك بشكل خلاق العديد من عناصر رؤية بافينك اللاهوتية الثقافية وعلم اللاهوت الكنيسي القائم على الأساس المهني لنيوبجن في تأسيسهم ذو الرؤية الثاقبة لمركز الإيمان والعمل. تأسس المركز ليكون بمثابة ذراع التجديد الثقافي لكنيسة الفادي، وتتمثل مهمته في تجهيز وربط وتعبئة أعضاء الكنيسة في مجالاتهم المهنية والصناعية

---

[27]Newbigin, *Honest Religion*, 118.

[28]Newbigin, *Sign*, 61.

*** ملاحظة من المترجم: كنيسة الفادي هي أكبر كنيسة مشيخية في أمريكا أسسها القس واللاهوتي المعروف تيموثي كيلر.

[29]Newbigin, Sign, 68.

نحو التحول الذي يركز على الإنجيل من أجل الصالح العام.[٣٠]

في خدمة هذه الإرسالية، يقدم المركز دورات ومحاضرات عامة وخلوات روحية حول مجموعة واسعة من الموضوعات الدينية والعمل المهني؛ يربط المهنيين الشباب بالمشيرين المسيحيين ذوي الخبرة في مجالاتهم؛ يحشد مجموعات من المستثمرين ورجال الأعمال المسيحيين من أجل مبادرات الصالح العام داخل المدينة؛ وينظم مجموعات للزمالات المهنية في التمويل والتسويق والفنون والمسرح والطب وغير ذلك.

بينما لا يزال يتعين عليهم تعيين شيوخ مهنيين أو تفويض مهمة ممارسة الفرائض المقدسة، يرفض رعاة الفادي أن يُملوا على هذه المجموعات المهنية تفاصيل الشكل الذي يجب أن تبدو عليه التلمذة المسيحية في مجالات عملهم المحددة. يرون أن دورهم هو تقديم الدعم الديني، والتشجيع، والتحذير، والتحدي. هنا يمكن للمرء أن يتخيل قائدًا يسأل مجموعة من الأسئلة الصعبة المتعلقة بكيفية اتباع المرء للمسيح في وظيفة معينة الذات مع السماح لمجتمع المهنيين بالتشاور حول كيفية تجسيد الإجابة على هذا السؤال في مكان عملهم الخاص. هنا يتم احترام التمييز بين الدعوة اللاهوتية للراعي والدعوة الثقافية للعلمانيين بينما يتلاشى الفصل المطلق بينهما في نفس الوقت.

يتحدث المشاركون في أنشطة المركز بانتظام عن كيف عززت الشركة مع المسيحيين الآخرين في مهنتهم إيمانهم، وأثرت حياتهم العملية، وجددت التزامهم بحركة كنيسة الفادي ككل. أصبح المركز ليس فقط مساحة للتعليم والزمالة، ولكن أيضًا كمنصة انطلاق للإرساليات والحملات الكرازية في مكان العمل نفسه. أفاد العديد من الأعضاء الجدد في كنيسة الفادي بأنهم وجدوا طريقهم إلى أبواب الكنيسة من خلال مختلف خدمات المركز. يقدم المركز التابع لكنيسة الفادي نموذجًا إبداعيًا ورؤيويًا لزارعي الكنائس في المناطق الحضرية حول العالم حيث يبدأ الحوار حول كيفية انخراطهم في الحياة المهنية للأشخاص في مدنهم. على أمل الوصول إلى سكان المدن الذين يقضون أكثر من سبعين ساعة في الأسبوع في العمل، أدرك مؤسس القس تيموثي كيلر مؤسس حركة كنيسة الفادي بنيويورك منذ البداية أنه بحاجة إلى إيجاد طرق إبداعية ونظامية للعبادة والتعليم وذلك لخدمة المهنيين العاملين في نيويورك. في رغبته الدائمة في السعي لتحقيق العدالة والسلام والصالح العام لمدينة نيويورك، تدرك كنيسة الفادي بنيويورك، كما فعل نيوبِجن من قبلهم، أن "الدور الرئيسي للكنيسة فيما يتعلق بهذه القضايا العظيمة للعدالة والسلام لن يكون في تصريحاتها الرسمية، ولكن في تغذية وإشباع الرجال والنساء الذين سيعملون بمسؤولية كمؤمنين في سياق واجباتهم العلمانية كمواطنين.[٣١] وكما يذكرنا بافينك، "ما نحتاجه في هذه الأوقات العظيمة ليس في المقام الأول القيام بشيء غير عادي، بل الوفاء المخلص للدعوات للمهن الأرضية المختلفة التي يدعو الرب شعبه إليها."[٣٢]

[30]See http://www.faithandwork.org.

[31]Newbigin, *The Gospel in a Pluralist Society*, 139.

[32]Bavinck, "Common Grace," 63